

# المسحاة

١٣١٥

﴿ صر في يوم السبت ١٩ رمضان سنة ١٣١٧ \* ٢٠ يناير (كانون ٢) سنة ١٩٠٠ ﴾

﴿ الزكاذب والفسدن . والايان والانسانية ﴾

(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واهلهم بأن لهم الجنة \* والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب اليم)

للايمان اطلاقان أحدهما التصديق الجازم بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مع الازعان . وآية الصدق في هذا التصديق وكونه جازماً لازماً لا زال فيه ولا اضطراب العمل بموجبه من الكف والانهاء عن المنهيات مطلقاً والايان بالمأمورات بحسب الاستطاعة المعبر عنه بالنقوى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) . ذلك بان من كان جازماً بان عمل كذا نافع له في العاجل أو الآجل فإنه ينبعث للايمان به من طبعه ومن كان جازماً بان فعل كذا ضار له في دنياه أو آخرته يكف عنه ويتقيه بوازع الفطرة يشهد لهذا كل ما يصدر عن الانسان من فعل وترك في عامة أوقاته وأحواله ويستحيل ان ينبعث الانسان لعمل ما وهو جازم بان فيه مضرة له ومتذكر لذلك الا ان يكون جازماً أيضاً بان فيه منفعة تربي على المضرة وترجع عليها ومن جهل هذا كان جاهلاً لنفسه ومن جهل نفسه كان بدينه

أجهل . ومن مناجاة الاخلاق الثاني الايمان وهو كما في الاخيار والآثار  
الصحيحة ( قول باللسان واعقاد بالجنان وعمل بالأركان ) فالاعتقاد هو  
الاصل والقول والعمل قرينان لازمان له ويميزهما بالإسلام  
( بسم الله الرحمن الرحيم . ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا  
وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا  
وليعلمن الكاذبين . )

نعم ان الله تعالى يفتن الذين يدعون الايمان بألسنتهم أو توسوس لهم  
به أنفسهم أي يختبرهم ايعلم علم شهادة - وهو عالم الغيب والشهادة - صدقهم  
في دعوى الايمان أو كذبهم فيها ويظهر ذلك الصدق أو الكذب بالعمل  
ظهورا يترتب عليه الجزاء في الدنيا والآخرة لاسيما بالنسبة لجموع الامة .  
ابتلانا بالشهوات التي تسوق الى ما ينافي المصلحة والمنفعة وأسرع لنا الطريق  
الذي يجب ان نسير فيه شهواتنا وحدنا حدودا موافقة لمصالحنا العامة  
والخاصة ولكنها تخالف الشهوة أحيانا وأمرنا ان لا نتعدها . فكيف مالم النفس  
فيه شهوة قد تسوق الى عمل ينافي المصالح العامة أو الخاصة فهو فتنة وابتلاء  
من الله تعالى يتمحرن به عباده ليزيل بين الصادق والكاذب في دعوى الايمان  
ويميز بين الخبيث والطيب من الالابسين لباس المرئيين ( ما كان الله ليذر  
المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) وقد نهينا تعالى على  
هذه الفتن لعلنا نحذر ونتبصر فقال « إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده  
أجر عظيم » وقال جل شأنه « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنباوهم أيهم  
أحسن عملا » وانا حسن العمل بالتوفيق بين منفعة العامل ومصالحة أمته  
على ما أرشد اليه الشرع دون اتباع شهوته التي تخل باحد الأمرين أو بهما

معاً واتنا نيين في هذه الفتنة. وجه الفتنة بالمال من حيث فرضه في الزكاة  
فحسب فوجوه الفتنة في جمعه وانفاقه كثيرة فنقول

المال محبوب لانه وسيلة الى كل محبوب. ومن الناس من يعظم شفقته  
بالوسائل فيجعلها مقصودة لذاتها ولا يستعملها فيما خلقت له وهذا كفر بالنعمة  
وابطال للحكمة ولذلك ورد في الصحيح (تمس عبد الدينار والدرهم) وانما  
عبده من يجمعه ولو بغير حق ويكثره فيمنع منه كل حق وورد أيضاً (نعم  
المال الصالح للرجل الصالح) وقد فرض الله تعالى على المؤمنين ان يجعل  
أغنياءهم جزءاً من أموالهم لمواساة الفقير والمسكين العاجزين عن كسب يقوم  
بكتايتها وتأليف القلوب التي لم تطمئن بالايان كمال الاطمئنان لاسيما من  
يتبعه في الهداية غيره وفي فك الرقاب من ذل الرق واطلاق الاسارى من  
قيود الاعداء بالفداء ولمساعدة الفارين بتحمل الديون للنفقة الشرعية على  
أنفسهم وأهلهم أو لأصالح ذات اليين ولاعانة المجاهدين الذين يتطوعون ببذل  
أرواحهم لحفظ الامة واعلاء كلمة الملة ولمواساة أبناء السبيل الذين ينقطعون  
في الاسفار عن أوطانهم ويحال بينهم وبين أموالهم. ولما ينصبه الامام لجباية  
هذه الاموال ووضعها في مواضعها

مساعدة هذه الاصناف بالمال من مقومات المدنية. واهمال شأنهم  
خروج عن الانسانية. وفي القيام بهذا العمل (ايتاء الزكاة) من المنافع للامة  
التي يميز المركزي بعزها ويذل بذلها ويسعد بسعادتها ويشقى بشقتها ما يبعث  
المائل المناضل عليه لاجل منافعه وفوائده ولو لم يكن مكانه ممن خلقه  
وأغاض عليه نعمة المال من فضله وكرمه إلا انها الشهوات ترجح عند سفهاء  
الأحلام على ما يطلبه العقل ويبعث عليه حب الشرف والفضيلة فاحتاج

الانسان لسائق آخر يسوقه الى هذا العمل الشريف النافع وهو سائق الدين الذي يعيده على فعله بنعيم أعلى ورضوان من الله أكبر ويوعده على تركه بالعذاب الاليم (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون) وان من لا يبالي بالمنافع القومية والمصالح الملية . ولا يكثر بالشرف والفضائل الانسانية . ولا يجب داعي الحضرة الالهية . ويخل بجزء من ماله على سمادته الدنيوية والاخروية . لجدير بالعذاب المهين . وامنة الله والملائكة والناس اجمعين . ومن يقرأ أو تقرأ عليه الآيات الناطقة بان الله جعل له المال فتنة ليظهر به صدقه في دعوى الايمان من كذبه وبأن الله اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة اذا هو بذلها في سبيل الحق وبأن من يمنع الحق المفروض في ماله له العذاب الاليم المشروح في الآية الكريمة ويلاحظ مع هذا ان أعمال الانسان تنبعث عن اعتقاداته الجازمة بمنفعتها أو مضرته تركها ثم يخل بالزكاة وما هي الا العشر أو ربع العشر مما أنعم الله تعالى به عليه ثم يدعي مع هذا كله انه مؤمن جازم بوعد الله تعالى ووعيده فهو مكابر للوجدان معتقد ان الايمان كلمات تدور على أطراف اللسان .

استفت قلبك أيها المغرور المخدوع حاسب نفسك على أعمالك التي نأيتها كل يوم تجددك تبذل المال لجلب المنافع أو درء المضار المظنونة التي لا توقن بوقوعها اذا أنت لم تبذل فكيف يسلم العقل ان الظن يبعث على العمل ولا يبعث عليه اليقين وهو ما تدعيه في ايمانك . ذلك شأنك في كسبك من زراعة أو تجارة أو صناعة وفي دفع الاذى عن نفسك وهذا شأنك في دينك

وإيمانك . فهل بلغت شهوة أمساك المال معك الى حد انظافاً به نور الفطرة  
 وخزيت الانسانية وذهبت حرمة الدين وما جاء به من الوعد والوعيد  
 اسنت قلبك وراجع وجدانك وحاسب نفسك . اذا قال لك فاسق  
 لا ثقة بشهادته ان هذا الطعام أو الشراب الذي تريد ان تتناوله مسموم وان  
 هذه المرأة التي ترغب موافقتها مصابة بالزهري أرايتك تترك شهوتك لقوله  
 أم لا ؟ انك لتتركها ولو على سبيل الاحتياط ولا تقدم عليها الا اذا كنت  
 جازماً بكذبه وانه لا يصيبك اذى لان تقديم دره المفسد على جلب المنافع  
 من الامور الطبيعية كما هو من الاصول الشرعية فكيف تجعل وعد الله  
 ووعدده دون خبر ذلك الفاسق فلا تحتاط له ؟ وتدعي انك موقن بهما  
 لاشك عندك ولا ارتياب

استفت قلبك وراجع وجدانك ولا يحملنك ثقل وقع الحق على نفسك  
 ان تضع أصبعيك على أذنيك وتسدل الستار على عينيك فتكون ممن قال  
 الله تعالى فيهم ( صم بكم عمي فهم لا يرجعون ) بل ارجع عن شحك (ومن  
 يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) ولا تسل نفسك بان في هذا الكلام  
 تكفيرا للمسلمين وان من كفر مؤمناً كفر ففتوهم ان هذه النصيحة  
 المقتبسة من نور كتاب الله تعالى عادت على من قدمها اليك بالتكفير أو  
 التفسيق فينعم بالك ويهنأ عيشك ويسلم لك مالك كله لا ينال فقير منه درهما  
 ولا ديناراً . فان بحثنا هذا بحث في روح الدين وجسمه معاً ومن أظهر  
 الاذعان للاسلام لا يحكم عليه بالكفر وان كان شاكاً في قلبه ومرتاباً أو  
 تلقى بعض العادات التي يعملها المسلمون باسم الدين ولم يمس الايمان به سواد  
 قلبه ( قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل

الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ان الله  
 غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا  
 باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون . قل اتعلمون الله بدينكم  
 والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم ) فهذا القرآن  
 يعرف المؤمنين بصيغة الحصر بما لا ينطبق عليك . ذكر في تعريفهم الجهاد  
 بالمال وقال في ضدهم ( فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ) واما حديث  
 ( من كفر مؤمناً فقد كفر ) فمعناه ان من سمى ما هو عليه من الايمان أو  
 اعماله كفراً فقد كفر لانه سمى دين الله كفراً . وقد نص العلماء على ان  
 من حكم بكفر انسان لدليل قام عنده عليه فهو متأول لا يكفر وان كان مخطئاً  
 في حكمه . على انني لا أقصد بكلامي تكثير مانع الزكاة واخراجها من عداد  
 المسلمين . وانما أبدل النصيحة بالنصيحة لتقوم سامعوا بالاسلام وارتضوه ديناً  
 ولكنهم أخذوه على غير وجهه لفساد التعليم القويم ثم اهماله فظنوا ان الله  
 تعالى تبدهم بالفاظ ورسوم لاهمى لها ولا فائدة فيها الا مجرد الاصوات  
 والحركات . ورزوا بقوم ولعوا بالتأويل وأخذ الدين من ألفاظ المصنفين  
 وان كانوا من قبيل الذين قال الله فيهم ( وان منهم فريقاً يلونون ألسنتهم  
 بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند  
 الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ) فهؤلاء  
 المحرفون هم الذين أفسدوا على العامة دينهم وعلومهم الاحتيال على الله تعالى  
 فصاروا ( يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون )  
 استفت قلبك أيها المختال في منع الزكاة وان أفتاك المفتون . استفت  
 قلبك وحكم كتاب الله تعالى في نفسك وزن به ايمانك وعملك فاذا رجح

به فانت السعيد واذا ظهرك الحسرات فاعلم ان هؤلاء المفتين الذين يعلمونك الحيل لا يسمونك وامل فواه تعالى ( ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم ان يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليّ المؤمنين )

استفت قلبك وراجع وجدانك يتجلّ لك ان قصارى الحيلة في منع الزكاة هدم ركن من أركان الاسلام وأعمل من أصول المدينة التي تبني عليها السعادة الانسانية ونسخ آيات كثيرة من كتاب الله تعالى تعدّ بالعشرات وابطال لمثلها أو ما يزيد عليها عددا من الاحاديث النبوية الصحيحة واعراض عن سيرة سلف الامة الصالح الذين قاتلوا مانعي الزكاة كما قاتلوا المرتدين عن الدين - كل ذلك لقول رجل يجوز عليه الخطأ عمدا وسهوا زعم ان الحيلة في دفع الزكاة جائزة قياسا على الحيلة في الربا وقياسه هذا باطل يضرب به وجهه - ما بيننا وبينهم التغطية المتواترة ولا يقول مسلم بل ولا عاقل ما يجوز مثل هذا التماس الذي هو من الاجتهاد المفيد للظن . ولا اصدق ما يرمى الى الاسلام أبي يوسف في ذلك وان نقله عنه حجة الاسلام الزراري وقال فيه ( وهذا هو العلم الضار ) لان هذه الحيلة لا تنطبق على قواعد علم أصول الاحكام التي يسمونها فقهاً وان كان لا يراعى فيها الا ماتعطيه ظواهر الالفاظ من غير ملاحظة الحكمة في التشريع وما يرضي الله تعالى وما يفضيه

أم مالك والامام أحمد منعا الحيلة مطلقا واستدل الحنفية والشافعية على حل الحيلة في الربا بما صح من ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عاملا خبير عن بيع صاع التمر الجيد بصاعين من الرديء لانه من الربا وأمر بان

بيع الردي بدرهم ويشترى بها الجيد وجعلوا هذا دليلا على أصل مشروعية الخيلة مع انه في الحقيقة ليس من الخيلة اذ مقصود الشارع من منع بيع الاطعمة والاقوات بمثلها مع التفاضل أو النسبته ان لا يخرجها عن الحكمة التي خلقت لاجلها وهي التغذية ( وفي معناها التداوي ) بجعلها أثمانا يتعامل بها لما في ذلك من تقييدها في الأيدي ومنعها عن محتاجيها للأكل ولهذا نهى عن الاحتكار وشدد فيه أيضا والحديث مرشد الى التعامل الذي لا يخل بهذه الحكمة بل يحفظها. وأما الخيلة في منع الزكاة فهي مبطله للحكمة في مشروعيتها وهادمة لركنها بالمره فلو فرضنا ان ما أرشد اليه حديث بيع التمر يسمى خيلة ويدل على مشروعية الخيلة فيجب ان يقيد بما لا يهدم ركنها اسلاميا ولا يخل بحكمة من حكم التشريع التي فيها صلاح العباد في المماش والمعاد . والزكاة من أعظمها أو أعظمها فان فيها قوام ثمانية طوائف من المسلمين لا يصح مجتمع الامة بدونها. على ان هذا قياس في مورد النص وهو ممنوع كما المعنا آنفا

ثم انني أرجع بك أيها الشحيح المسك الى الفطرة الانسانية لتعلم انك بمنع الزكاة منحرف عن صراط الدين وعن كمال الانسانية معا فان نوع الانسان بمقتضى الفطرة على أربع طبقات - ( الطبقة الاولى ) التي يبذل أفرادها المال في منافع قومهم وأمتهم ومواساة محتاجيهم لان ذلك من الفضائل الانسانية وموجبات الشرف والجاه الصحيح وناهيك بما حفظه التاريخ للاسفياء والاجواد من الذكر المجيد وما ورد في حاتم الطائي من الحديث الشريف ( الطبقة الثانية ) التي لا يبذل أفرادها المال الا في لذاتهم وشهواتهم البدنية وأفراد هذه الطبقة الى البهيمة أقرب منهم الى الانسانية ( الطبقة الثالثة ) التي خرجت بالمال عن وضعه الاصل وهو وسيلة الحاجات وميزان

المعاملات فأحبته لذاته وأمسكه أفرادها عن المنافع والشهوات جميعاً إلا  
 مالا مندوحة عنه وهؤلاء إلى الجنون أقرب منهم إلى العقل . وغرض الدين  
 بمشروعية الزكوة اعانة الانسان على تقوية داعية الفضيلة التي تقضيها الفطرة  
 الانسانية على داعية الشهوة وفساد الرأي التي عليها أهل الطبقتين الاخرين  
 لان الرغبة في منفعة الامة وحب الشرف قد يعجزان عن مقاومة الشهوة  
 واصلاح الرأي الافين فجعل للبذل في الطرق الشريفة النافعة جنة الله  
 ورضوانه وتوعد على البخل والامساك عن ذلك بنار الله وسخطه فمن غلبت  
 شهوته أو حمله فساد رأيه على منع الزكوة مع هذا كله فهو بعيد عن هدي  
 الديانة الاسلامية وسلامة الفطرة الانسانية والسلام على من اتبع الهدى

## باب التوسل بالعلماء

﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٩) من هيلانة إلى ارسم في ٨ مايو سنة ١٨٥٠

أندري أيها العزيز ارسم اني فكرت كثيراً فيما ختمت به مكتوبك الاخير وورد  
 على ذهني منه خاطر يجب عليّ قبل الافضاء اليك به ان أبين لك كيف ورد .  
 جاء الدكتور وارنجتون واسرته الى هنا وأمضوا يومين فسن لي شبه قانون أجري  
 عليه في معيشتي بل هو الذي يتبعه معظم الانكليزيات الحوامل اللاتي يوصفن عادة  
 بأنهن في حالة شاغلة . نصح لي بادامة الرياضة البدنية والنزه ثم قال مانصه (اياك والاقتراب  
 ما تتردد من الامور التي تتردد من قراءتها الانقذات اليه بسديده . كان  
 اليونان أعقل منا لانهم كانوا يحيطون نساءهم في مدة الحمل بالتأنيب . الصور الجميلة  
 المنسوبة لمشاهير الاساتذة في فن التصوير وانني لست أجزم بان هذا كان سبباً في اتيان  
 اولادهم حسان الحلقة ولكي على كل حال أقول اذا كان مثل هذه التمايل والصور